﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القصص: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكرُ الامتنانِ على المؤمنينَ بعدَ إهلاكِ الظّالمينَ، وتعاقُب دعوتَي الحقِّ والباطلِ

لمّا ذكرَ تعالى ما آلَ إليهِ فرعونُ وقومُهُ مِنْ غَضَبِ اللهِ عليهم وإغراقِهم؛ ذكرَ ما امتنَّ بهِ على رسولِهِ موسى عليه السلام، فقالَ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآيةَ[1]؛ بيانًا للمقابلة بينَ مَن رضي الله عنه، وأرضاه من أهل طاعته، وبين مَن عصى اللّه، واستكبر عن عبادته، فباء بغضب من اللهِ وسخَطِه، ثُمَّ إنَّه لمّا وعدَ سبحانَهُ بإمامةِ بني إسرائيلَ، وقصَّ القَصَصَ حتَّى ختمَ بإمامةِ آلِ فرعونَ في الدُّعاءِ إلى النّارِ؛ إعلامًا بأنَّ ما كانوا عليهِ تجبُ مجانبتُهُ؛ تشوَّفَتِ النُّفوسُ إلى أساسِ إمامةِ بني إسرائيلَ، الَّتي يجبُ العُكوفُ عليها في ذلكَ الزَّمانِ؛ إذْ منَ المعلوم أنَّ لكلِّ إمامة دِعامة، فأخبرَ سبحانَهُ عن ذلكَ قائلًا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآيةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَاتَيۡنَا﴾: (أتي) أصلٌ يدلُّ على وصولٍ بتهيئة أو قوَّةٍ تُزيل ما يَعوق، مع خفاء مصدَر المجيءِ[3]، ومنه الإيتاءُ: الإعطاءُ[4]، يقالُ: آتَى إليهِ الشَّيءَ إيتاءً، أي: ساقَهُ، وجعلَهُ يأتي إليهِ، وآتَى فلانًا شيئًا إيتاءً: أعطاهُ إيّاهُ[5]، وفي التَّنزيل: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النّمل: 23]، وخُصَّ دفعُ الصَّدقةِ في القرآنِ بالإيتاءِ، نحوُ قولِهِ: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 601، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 307.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 300.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أتو/ أتي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أتي).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (أتي).

وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الأنبياء: 73][1]، وقولُهُ: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: 265]، أي: أعطَتْ، والمعنى: أثمرَتْ ضِعْفَيْ ما يُثمِرُ غيرُها مِنَ الجِنانِ، وقولُهُ: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: 17]، أي: أعطاهم جزاءَ اتِّقائِهم[2]، ومعنى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أعطَيْناهُ إيّاهُ.

2) ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: (كتب) أصلٌ يدلُّ على جمعِ شيءٍ إلى شيءٍ[3]، والكَتْبُ في العُرْفِ: ضمُّ الحروفِ بعضِها إلى بعضٍ بالخطِّ، وقد يقالُ ذلكَ للمضمومِ بعضِها إلى بعضٍ باللَّفظِ، والكِتابُ في الأصلِ مصدرٌ، ثمَّ سُمّيَ المكتوبُ فيهِ كِتابًا، فالكِتابُ في الأصلِ: اسمٌ للصَّحيفةِ معَ المكتوبِ فيها[4]، والمرادُ بالكتابِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التَّوراةُ الَّتي خاطبَ اللّهُ بها موسى عليه السلام[5].

3) ﴿أَهْلَكْنَا﴾: (هلك) أصلٌ يدلُّ على كَسْرٍ وسُقوطٍ[6]، والهلاكُ على أوجهٍ: الأوَّلُ افتقادُ الشَّيءِ عنكَ، وهو عندَ غيرِكَ موجودٌ، كقولِهِ تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقّة: 29]، والثّاني: هلاكُ الشَّيءِ باستحالةٍ وفسادٍ، كقولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205]، والثّالثُ: الموتُ، كقولِهِ تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ [النّساء: 176]، والرّابعُ: بطلانُ الشَّيءِ مِنَ العالَمِ وعدمُهُ رأسًا، وهو المُسمَّى فَناءً، المُشارُ إليهِ بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، ويقالُ للعذابِ والخوفِ والفقرِ: الهلاكُ، والهُلْكُ: الإهلاكُ، والتَّهلُكةُ: ما يُؤدّي إلى الهلاكِ[7]، فالإهلاك في قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الإماتة بالعذاب.

4) ﴿ٱلْقُرُونَ﴾: (قرن) أصل يدلُّ على جمعِ شيءٍ إلى شيء، وعلى نتوءِ شيءٍ بقوَّة وشدَّة[8]، والقَرْنُ من النّاس: القومُ المقترنونَ في زمنٍ واحدٍ، من الاقتران وهو الاجتماع، وجمعُهُ قُرونٌ، قالَ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [يونس: 13][9]، أو أصله من النُّتوء،

(1) ابن سيده المرسيّ، المحكم والمحيط الأعظم: (أتي).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أتي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتب).
(4) الرّاغب، المفردات: (كتب).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 129.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هلك).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (هلك).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرن).
(9) الرّاغب، المفردات: (قرن).

فالقَرنُ: الأمَّة تأتي بعد الأمَّة، والجيل ينشأ بعد الجيل، سُمّيت قرونًا تشبيهًا بنتوء قرونِ الشاة ونحوها، كأنَّها دفعةٌ من النّاس خارجةٌ بعد دافعة[1]، ومن هذا المعنى قولُ الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، وقيلَ في تحديدِ القَرْنِ: كلُّ طبقةٍ بُعِثَ فيها نبيٌّ، وقيلَ: القَرْنُ المُدَّةُ، واختُلِفَ في قَدْرِها، فقيلَ: ثمانونَ سنةً، وقيلَ: أربعونَ، وقيلَ: مئةٌ[2].

5) ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾: (أول) أصلٌ يدلُّ على ابتداءِ الأمرِ، فالأوَّلُ: مبتدأُ الشَّيءِ، ومؤنَّثُهُ: الأولى[3]، وقيلَ: الأوَّلُ: هو الَّذي يترتَّبُ عليهِ غيرُهُ، ويُستعمَلُ على أوجهٍ، منها: المُتقدِّمُ بالزَّمانِ، كقولِكَ: عبدُ الملكِ أوَّلًا ثمَّ المنصورُ، والمُتقدِّمُ بالرّياسةِ في الشَّيءِ، وكونُ غيرِهِ مُحتذيًا بهِ، نحوُ: الأميرُ أوَّلًا ثمَّ الوزيرُ، وإذا قيلَ في صفةِ اللّهِ: هو الأوَّلُ؛ فمعناهُ: أنَّهُ الَّذي لم يَسْبِقْهُ في الوجودِ شيءٌ[4]، والمرادُ بالقُرونِ الأولى في قولِهِ تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قومُ نوحٍ وعادٌ وثمودُ وقومُ لوطٍ[5].

6) ﴿بَصَآئِرَ﴾: (بصر) أصلٌ يدلُّ على العِلمِ بالشَّيءِ، فيقالُ: هو بصيرٌ بهِ[6]، ويقالُ لقوَّةِ القلبِ المُدركةِ: بصيرةٌ وبصرٌ، كقولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق: 22]، وكقولِه ﷺ عن السّامريّ: ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: 96]، قال الأخفش: أي: (علمت ما لم يعلموا به)، من البصيرة[7]، وقولُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: 203]، أي: هذا القرآنُ حُجَجٌ واضحةٌ، وبراهينُ بيِّنةٌ[8]، وقولُهُ هنا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾، أي: جعلناها عِبْرةً لهُم[9]، أو طرائقَ هاديةً[10].

7) ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: (ذكر) أصلٌ يدلُّ على قوَّة الشَّيء وصلابةِ مادَّته، ومنه الذِّكْرُ، وهو حِفظُ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قرن).
(2) السّمين، عمدة الحفاظ: (قرن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أول).
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (أول).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 129.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بصر).
(7) الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: (بصر).
(8) السّمين، عمدة الحفّاظ: (بصر).
(9) الرّاغب، المفردات: (بصر).
(10) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 289.

الشَّيءِ مِنَ النِّسيان، سُمّيَ ذِكرًا؛ لأنَّ به يَبقَى الشَّيء قويًّا واضِحًا في الذِّهن[1]، والذِّكر الذي به يحفَظُ الإنسانُ ما اكتسبَه من المعرفة يكون بالقلب، ويكون باللِّسان؛ وكلُّ واحدٍ منهما نوعانِ: ذِكرٌ عن نسيانٍ، وذِكرٌ لا عن نسيانٍ، بل عن إدامةِ الحفظ[2]، وتذكَّرَ الشَّيءَ يتذَكَّرُه: استحضرَه بعدَ نسيان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرّعد: 19]، وقال هنا: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد هلاك الأمم الملعونة، المَنُّ على بني إسرائيلَ بالتَّوراةِ لهدايتهم وتبصيرهم وتذكيرهم

ولقد أعطَيْنا موسى عليه السلام التَّوراةَ مِنْ بعدِ إهلاكِ الأُمَمِ الَّتي كانَتْ قبلَهُ - كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وأصحابِ مدينَ - وجعَلْناها ضياءً لبني إسرائيلَ فيما يحتاجونَ إليهِ مِنْ أمرِ دينِهم، وبيانًا وإرشادًا لهُم، ورحمةً لِمَنْ عملَ بها منهُم؛ ليتذكَّروا نِعَمَ اللهِ عليهِم بذلكَ، فيَشْكُروهُ عليها، ولا يَكْفُروهُ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ الوصلِ بالواو ﴿وَلَقَدۡ﴾:

مقارنةُ رسالةِ محمَّدٍ برسالة موسى عليه السلام، كانا بعد فترة طويلة من الرُّسُل

الواوُ قبل لام القسم وحرف التَّحقيق من قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ استئنافيَّةٌ[4]، فالآيةُ إتمامٌ لتنظيرِ رسالةِ خاتمِ الأنبياء محمَّدٍ ﷺ برسالةِ موسى عليه السلام في أنَّها جاءَتْ بعدَ فترةٍ طويلةٍ لا رسالةَ فيها، وهي تخلُّصٌ مِنْ قصَّةِ بعثةِ موسى عليه السلام إلى تأييدِ بعثةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ[5]، فكما أنَّ إيتاءَ التَّوراةِ - بعد إهلاك الأمم الماضية - إنَّما كان لَمَسيس حاجَة النّاس إلى تبصيرهم وهدايتهم وتذكيرِهم؛ فكذلك الحاجَةُ إلى إنزال القرآن على الرَّسول محمَّد

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).
(2) الرّاغب، المفردات: (ذكر).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 583.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم: 20/ 263.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 127.

ﷺ، فإنَّ إهلاكَ القرون الأولى من موجِبات اندراس معالِم الشَّرائع، وانطماسِ آثارها وأحكامها[1].

غرضُ التَّوكيدِ في ﴿وَلَقَدْ﴾:

التَّمكينُ لأهلِ الإسلامِ مُتيقَّنٌ لا ريبَ فيه

جاء تأكيدُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ بلام القَسَم وحرفِ التَّحقيق؛ لأنَّ العربَ، وإنْ كانوا مُصدِّقينَ بما وقعَ مِنَ المِنَّةِ على بني إسرائيلَ، بإنقاذِهم مِنْ فرعونَ وتمكينِهم بعدَهُ، وإنزالِ الكتابِ عليهم؛ إلّا أنَّ حالَهم بإنكارِ التَّمكينِ لأهلِ الإسلامِ والتَّكذيبِ بكتابِهم حالُ المُكذِّبِ بأمرِ بني إسرائيلَ؛ لأنَّهُ لا فرقَ بينَ نبيٍّ ونبيٍّ، وكتابٍ وكتابٍ، وناسٍ وناسٍ، فَرَبُّ الكلِّ واحدٌ[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّوكيدُ لتنزيلِ المُخاطَبينَ منزلةَ المُنكرينَ لوقوعِ ذلكَ، وموقعُ التَّأكيدِ هو قولُهُ تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾[3].

نكتةُ إسنادِ الإيتاءِ إلى نونِ العظَمةِ:

إيتاءُ الكتابِ عظيمُ الشَّأنِ، رفيعُ المقصد

أُسنِدَ الإيتاءُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى نونِ العظَمةِ لتفخيمِ شأنِ الإيتاءِ، بكونِ المُؤتي ذا العظَمةِ والجلالِ والكِبْرياءِ، أي: (ونحن بما لَنا مِنَ الجلالِ والجمالِ، والمجدِ والكمالِ، آتَيْنا موسى الكتابَ)[4]، وفي ذلكَ أيضًا تعظيمٌ للمُؤْتَى، وهو موسى عليه السلام، وتعظيمٌ للكتابِ المُؤتَى أيضًا، ببيانِ أنَّ مصدرَهُ إلهيٌّ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

مَلمَحُ المبالغةِ في المعنى الَّذي يشتملُ عليه

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فِعالٌ بمعنى المكتوبِ: إمّا مصدرٌ (كاتبَ) المَصوغ للمبالغةِ في الكتابةِ، فإنَّ المصدرَ يجيءُ بمعنى المفعولِ، كالخَلْقِ بمعنى المخلوقِ، وإمّا فِعالٌ بمعنى مفعولٍ، كلِباسٍ بمعنى ملبوسٍ،

(1) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 10/ 123.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 300.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 129.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 301.

واشتقاقُهُ مِنْ (كتبَ) بمعنى (جمعَ) و(ضمَّ)؛ لأنَّ الكتابَ تُجمَعُ أوراقُهُ وحروفُهُ[1].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

الكتابُ المقصود هو التَّوراةُ المعهودة

المرادُ بالكتابِ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةُ[2]، فاللّامُ للعهدِ بدلالةِ القرينةِ[3]، حيثُ أخبر اللهُ ﷻ أنَّه آتى موسى كتابَ التَّوراة المنزل، وجعلها نورًا للنّاس وهدايةً، وهي بلا شكٍّ تذكرةٌ لهم من عقاب اللهِ وشديدِ عذابه[4].

دلالة الحرفِ ﴿مِنۢ﴾:

بيانُ أنَّ إيتاءَ التَّوراةِ كان بعدَ إهلاكِ القرونِ الأولى

حرفُ الجرِّ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ لابتداءِ الغايةِ الزَّمانيَّةِ، وهو يفيدُ أنَّ ابتداءَ إيتاءِ التَّوراةِ كانَ بعدَ إهلاكِ القرونِ الأولى، وفي الإتيانِ بها أيضًا تأكيدٌ للبعديَّةِ، ولذلكَ لم يقل: (بعدَ ما أهلَكْنا).

بلاغةُ إسنادِ الإهلاكِ إلى ضميرِ العَظَمَة:

أخذُ المُنتقِمِ الجبّارِ أليمٌ خطير الآثار

أُسنِدَ الإهلاكُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ إلى نونِ العظَمةِ لتفخيمِ شأنِ الإهلاكِ؛ إذ المُهلِكُ هو المُنتقِمُ الجبّارُ ذو العظَمةِ والجلالِ[5]، أي: (أهلَكْنا بعظَمتِنا القُرونَ الأولى)[6]، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ التَّخويفِ والتَّهديدِ.

سرُّ ذكرِ إيتاءِ التَّوراةِ بعدَ إهلاكِ القرونِ الأولى:

تهديدُ قريشٍ بعقبى الأمم السّابقةِ المُهلكة

قولُ اللهِ تقدَّسَ ذكرُهُ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾، إخبارٌ بأنَّهُ أنزلَ التَّوراةَ على موسى بعدَ هلاكِ فرعونَ وقومِهِ، وبعدَ إهلاكِ عادٍ وثمودَ، وقومِ لوطٍ وغيرِهم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 221.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 179.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 527.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 60.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 301.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 301.

والقصدُ بهذا الإخبارِ تحذيرُ قريشٍ ممّا أصابَ غيرَها مِنَ الأمم[1]، وفيه أيضًا الإشعارُ بمَساسِ الحاجةِ الدّاعيةِ إلى إيتاءِ التَّوراةِ، تمهيدًا لِما يَعْقُبُهُ مِنْ بيانِ الحاجةِ الدّاعيةِ إلى إنزالِ القرآنِ الكريمِ على رسولِ اللّهِ ﷺ، فإنَّ إهلاكَ القرونِ الأولى مِنْ أسبابِ اندراسِ معالمِ الشَّرائعِ وأحكامِها، المُؤدّي إلى اختلالِ نظامِ العالَمِ، وفسادِ أحوالِ الأممِ، وذلكَ يستدعي التَّشريعَ الجديدَ، بتقريرِ الأصولِ الباقيةِ على مرِّ الدُّهورِ، وترتيبِ الفروعِ المُتبدِّلةِ بتبدُّلِ العصورِ، كأنَّهُ قيلَ: (ولقد آتَيْنا موسى التَّوراةَ على حينِ حاجةٍ إلى إيتائِها)[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ الإشارةَ إلى أنَّهُ لا يعمُّ أمَّةً مِنَ الأممِ بالهلاكِ بعدَ إنزالِ التَّوراةِ؛ تشريفًا لها ولِمَنْ أُنزِلَتْ عليهِ[3].

دلالةُ إعرابِ لفظ ﴿بَصَآئِرَ﴾:

قولُ اللّه تعالى: ﴿بَصَآئِرَ﴾ حالٌ مِنَ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، في الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾، وسرُّ إيرادِ هذهِ الحالِ: الإيذانُ بشدَّةِ احتياجِ القومِ إلى ما تُفتَحُ بهِ قلوبُهم العمياءُ[4]، وبصائرُهم المطموسة، فمعنى ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾، أي: حالَ كون الكتاب أنوارًا لقلوب النّاس، فإنَّه يُستبصَر به في باب الدّين، ويكون هُدًى إلى كلِّ خير؛ لأنَّ الكتاب يُستدَلُّ به لتبصُّر المسلك، والمتبصِّرُ والمتمسِّك به يفوز بمطلوبه من الثَّواب"[5]، ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿بَصَآئِرَ﴾ مفعولًا لهُ[6]، فيفيدُ تعليلَ إيتاءِ التَّوراةِ.

بيانُ شدَّةِ الاحتياجِ إلى ما يُقوّي البصيرة

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿بَصَآئِرَ﴾:

البصائرُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ جمعُ بصيرةٍ،

التَّوراةُ أنوارٌ للقُلوبِ، وهدايةٌ من علّام الغيوب

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 289، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 128.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 15، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 292.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 14/ 301.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 66.
(5) الجاويّ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 2/ 198.
(6) السّمين، الدّرُّ المصون: 8/ 680.

وهي نورُ القلبِ الَّذي يُستَبصرُ بهِ، كما أنَّ البصرَ نورُ العينِ الَّذي يُبصَرُ بهِ، والمعنى: (آتَيْناهُ التَّوراةَ أنوارًا للقُلوبِ؛ لأنَّها كانَتْ عمياءَ لا تستبصرُ، ولا تعرفُ حقًّا مِنْ باطلٍ)[1]، وجعْلُ الكتابِ ﴿بَصَآئِرَ﴾ باعتبارِ عدَّةِ دلائلِهِ، وكثرةِ بيِّناتِهِ[2].

فائدةُ تعريفِ (النّاسِ):

تعريفُ (النّاسِ) بـ(أل) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ للعهدِ، والمرادُ بهِم: الَّذينَ أُرسِلَ إليهِم موسى ﷺ، مِنْ بني إسرائيلَ وقومِ فرعونَ، ومَنْ يريدُ أنْ يهتديَ بهَدْيِهِ، كالَّذينَ تهوَّدوا مِنْ عرَبِ اليمنِ[3].

بيانُ أنَّ التَّوراةَ بصائرُ لقومِ موسى ﷺ وعامَّةِ مهتدي زمانه

سرُّ عطفِ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ على ﴿بَصَآئِرَ﴾:

عطفُ الهدى والرَّحمةِ على البصائرِ في قولِ اللّهِ سبحانَهُ: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾؛ للتَّنبيهِ على كثرةِ منافعِ التَّوراةِ، فهي أنوارٌ للقُلوبِ، وإرشادٌ للنّاسِ؛ لأنَّهم كانوا يَخْبِطونَ في ضلالٍ، ورحمةٌ لهُم؛ لأنَّهم لو عَمِلوا بها؛ وصَلوا إلى نَيْلِ الرَّحمةِ[4]، بمقتضَى وعدِهِ سبحانَهُ[5]، ولأنَّها مِنْ نِعَمِ اللّهِ تعالى على مَنْ تعبَّدَ بها[6].

كثرةُ منافعِ التَّوراةِ مذكورةٌ مشهورة

سرُّ التَّرتيبِ في صفاتِ الكتابِ:

رُتِّبَتْ صفاتُ الكتابِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ على هذا النَّحوِ؛ لأنَّ الإدراكَ مُقدَّمٌ رُتْبةً لكونِهِ مقصودًا؛ ثمَّ ذُكِرَتِ الهدايةُ؛ لأنَّها مُقدَّمةٌ على الرَّحمةِ[7].

نكتةُ التَّعبيرِ بمصدرِ الهُدى والرَّحمة:

جيءَ بصيغةِ المصدرِ في قولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾؛

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 416.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 129.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 129.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 417.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 292.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 601.
(7) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 527.

للمبالغةِ في اتِّصافِ الكتابِ بهذينِ الوصفينِ، حتَّى كأنَّهُ نفسُ الهدى والرَّحمةِ، قد تجسَّدَ فيهِ صورتاهُما[1].

بلاغةُ تنكيرِ الهُدى والرَّحمة:

نُكِّرَ لفظا الهدى والرَّحمة في قولِ اللهِ عزَّ ثناؤُهُ: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾؛ لتفخيمِ شأنِهما، أي: (وهدًى أيَّ هدًى، ورحمةً أيَّ رحمةٍ)، لكثرةِ ما في الكتابِ مِنَ الخيرِ والهدايةِ والإرشادِ إلى ما فيهِ سعادةُ الدّارين، فإنَّ بنزول التَّوراة يُبصِر بنو إسرائيلَ ما ينفعهم، وما يضرُّهم، فتقوم الحجَّةُ على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمةً في حقِّهِ، وهدايةً له إلى صراط الله المستقيم[2].

تفخيمُ شأنِ الهدى والرَّحمةِ، لما لهما من أهمّيَّة

بلاغةُ التَّرجّي في ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

التَّرجّي في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ مُحالٌ عليهِ تعالى، والمعنى: (ليكونوا على حالٍ يُرجَى منهُم التَّذكُّرُ)[3]، فهو استعارةٌ تمثيليَّةٌ، والمرادُ: أنَّها أُنزِلَتْ؛ ليكونوا على حالةٍ قابلةٍ للتَّذكُّرِ، كحالِ مَنْ يُرجَى منهُ الخيرُ[4]، ويجوزُ صرفُ التَّرجّي إلى موسى عليه السلام[5].

أهميَّةُ إنزالِ التَّوراةِ على حالٍ قابلةٍ للتَّذكُّرِ

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾:

ضميرُ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ عائدٌ إلى النّاسِ الَّذينَ خوطِبوا بالتَّوراةِ، أي: فكذلكَ إرسالُ محمَّدٍ ﷺ بالقرآنِ إليكم، هو لكُم هدًى ورحمةٌ لعلَّكم تتذكَّرونَ[6].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ رجاءَ التَّذكُّرِ منهُم مُستمرٌّ مُتجدِّدٌ، كما هو شأنُ

رجاءُ التَّذكُّرِ مُستمِرٌّ، وهو غايةٌ في البيانِ المقرَّر

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 292.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، ص: 390.
(3) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 4/ 179.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 75.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 417.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 129.

مُتَّبِعي الشَّرائعِ السَّماويَّةِ، فاتِّباعُهم لها لا يكونُ في وقتٍ دونَ وقتٍ، بل هو عامٌّ لجميعِ الأوقاتِ، لا ينبغي أنْ ينفكّوا عنهُ في حالٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيتاءُ والإعطاءُ:

الإيتـاءُ أنسبُ بتعظيمِ التَّوراةِ، وبيـانِ عـمـومِ نفعِها

فُرِّقَ بينَ الإيتاءِ والإعطاءِ مِنْ وجوهٍ، **منها:** أنَّ في الإعطاءِ دليلَ التَّملُّكِ دونَ الإيتاءِ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]، فإنَّ لهُ منعَ مَنْ شاءَ منهُ كالمالكِ للمِلْكِ؛ وأمّا القرآنُ فحيثُ إنَّ أمَّتَهُ مُشارِكونَ لهُ في فوائدِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: 87][1]، **ومن الفروق بينهما:** أنَّ الإيتاءَ أقوى مِنَ الإعطاءِ في إثباتِ مفعولِهِ؛ لأنَّ الإعطاءَ لهُ مُطاوِعٌ، تقولُ: أعطاني فعَطَوْتُ، ولا يقالُ في الإيتاءِ: آتاني، فأتيتُ، وإنَّما يقالُ: آتاني، فأخذتُ، والفعلُ الَّذي لهُ مُطاوِعٌ أضعفُ في إثباتِ مفعولِهِ مِنَ الفعلِ الَّذي لا مُطاوِعَ لهُ، **ومنها أيضًا:** أنَّ الإيتاءَ أقوى مِنَ الإعطاءِ في متعلَّقِهِ؛ لأنَّ الإيتاءَ يُستعمَلُ في الأشياءِ العظيمةِ، كالقرآنِ، والحكمةِ، والمُلْكِ[2]، **ومنها:** أنَّ الإيتاءَ فيهِ معنى الوجوبِ والإلزامِ، وأمّا الإعطاءُ؛ ففيهِ معنى التَّفضُّلِ والإكرامِ[3]، ولعلَّ ذلكَ في الأعمِّ والأغلبِ، وإلّا فقد يقترنُ الإيتاءُ بالتَّفضُّلِ أيضًا، كما في إيتاءِ المُلْكِ والقرآنِ والحكمةِ، **ومنها:** أنَّ الإعطاءَ يكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ، وأمّا الإيتاءُ؛ فيكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ والمعنويَّةِ[4]، **ومنها:** أنَّ الإيتاءَ يقالُ في وصفِ الكتابِ؛ إذا كانَ معَهُ قبولٌ مِنَ المُؤتَى لِما أوتيَهُ[5]، وقد عُبِّرَ بالإيتاءِ في قولِهِ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ لِما

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 86.
(2) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 248.
(3) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 248 - 249.
(4) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 251.
(5) السمين، عمدة الحفاظ: (أتى).

فيهِ مِنْ تعظيمِ التَّوراةِ وبيانِ عمومِ نفعِها، والتَّنبيهِ على أنَّ موسى عليه السلام قد تلقَّى الكتابَ بالرِّضا والقبولِ والعملِ بما فيهِ، وذلكَ هو شأنُ الأنبياءِ عليهم السلام.

الإهلاكُ والتَّدميرُ:

الإهلاكُ أبلغُ لما فيهِ مِنَ الدَّلالةِ على الاستئصالِ

التَّدميرُ: إدخالُ الهلاكِ على الشَّيءِ[1]، والإهلاكُ: الاستئصالُ والإفناءُ[2]، فيكونُ أشدَّ مِنَ التَّدميرِ، وقد عُبِّرَ بهِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ لأنَّهُ أبلغُ وأنسبُ بمقامِ التَّحذيرِ والتَّعريضِ بالعقابِ لكفّارِ قريشٍ ومَنْ هم على شاكِلَتِهم.

الأمَّةُ والقَرْنُ:

شدَّةُ الأخذِ بعدَ طولِ الإمهالِ يناسبُها القَرْنُ

الأمَّةُ: كلُّ جماعةٍ يجمعُهم أمرٌ ما، إمّا دينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ، سواءٌ كانَ ذلكَ الأمرُ الجامعُ تسخيرًا أم اختيارًا[3]، والقَرْنُ في الأصلِ: الزَّمَنُ الطَّويلُ، ويُطلَقُ على القومِ المُقترنينَ في زمنٍ واحدٍ[4]، وعلى الأمَّةِ الَّتي دامَتْ طويلًا[5]، ولفظُ القَرْنِ أخصُّ؛ لأنَّهُ خاصٌّ بالبشرِ، وأمّا لفظُ الأمَّةِ؛ فيُطلَقُ على البشرِ وعلى غيرِهم، قالَ تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: 38].

وقد عُبِّرَ بلفظِ ﴿ٱلۡقُرُونَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ لِما فيهِ مِنَ الإشارةِ إلى طولِ الزَّمَنِ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّهُ سبحانَهُ أمهلَهم طويلًا، حتَّى إذا ظنّوا أنَّهم لا يُقْدَرُ عليهِم؛ أخذَهم أخْذَ عزيزٍ مُقتدِرٍ، وفي ذلكَ رَدْعٌ لكلِّ مُتكبِّرٍ مُغترٍّ بقوَّتِهِ وبَطْشِهِ.

(1) الراغب، المفردات: (دمر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/ 113.
(3) الراغب، المفردات: (أمم).
(4) الراغب، المفردات: (قرن).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 137.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»